أبو يوسف : حياته ، مسؤلياته ومعتقداته السياسية

بيان نويهض الحوت

عندمـــا يرحل القادة السياسيون عن هذه الدنيا ، يكـــون العزاء لذويهم ورفاقهم وشعوبهم ، أنهم لا بد وان يكونوا قد تركوا وراءهم ارثا من الكتابات والتصريحـــات والخطابات ، بحيث يسهل على الكتاب والباحثين ان يؤرخوا سير حياتهم ، وان يخلدوا أفكارهم .

أحيانا . . . كلما كثرت هذه الكتابات والتصريحات ، كلما كان جمعها ونشرها أصعب ، ذلك أن القائد السياسي لم يكن يخاطب التاريخ او الاجيال القادمة في كل كلمة قالها ، وفي كل موقف تبناه . القائد السياسي هو الرجل الذي يتكلم ـــ عادة عندما يتكلم ـــ عن امور الساعة ، ويعلق على آخر الاحداث السياسية ، فكثيرا ما تصدر عنه اقوال لم تكن لتصلح الا لاحاديث صحفية عابرة ، وبالتالي لاستهلاك آني ، ومثل على ذلك ، ان يكون في كلامه دبلوماسية مرنة لا تفصح تماما عما تريد ، او أن يكون هناك تغطية لموقف دولة ما او فئة ما ، وقد فرضت عليه الظروف النضالية والمصلحة الثورية تلك التغطية ، فلجمت لسانه عن قول الحقيقة كاملة في ذلك الموقف وتلك الساعة .

وعلى العكس من صعوبة كثرة الكلام بالنسبة للباحثين تكون قلته . السياسي كثيرا ما يتمنى في حياته ان يقول اشياء واشياء ، وان يفصح عن أسرار واسرار ، ولكنه لا يستطيع فعل ذلك عندما لا يكون من المصلحة الثورية بشيء ان يفصح عن تلك الاشياء وتلك الاسرار ، فيبقى محتفظا بما يعرفه لنفسه ، ومنتظرا قدوم احداث او زمن يمكنه من الحديث . الا أن الزمن قد يفاجئه ، فتغتال حياة هذا القائد بضع رصاصات . تنهي حياته ، وتنهي الاشياء والاسرار معه .

وتزداد الصعوبة اكثر فأكثر . حين يكون القائد السياسي قليل الكلام ، لا بسبب الظروف السياسية وحدها ، وانما ايضا بسبب انغماسه في المسؤوليات النضالية ، الشاملة منها واليومية ، الى درجة ينسى فيها مشكلاته الخاصة ، كما ينسى مشكلات التاريخ والمؤرخين . هو لا يفكر الا بانتصارات جزئية يحققها على طريق النصر البعيد . وهذا القائد الحقيقي لا يفكر بنفسه على الاطلاق وهو على قيد الحياة ، فكيف يفكـــر بنفسه ان هي غادرتها الحياة . كيف يفكر لماذا سيكتب عنه ، كيف يفكر بمن سيكتب عنه ، وماذا يهمه من كل هذا أصلا ، واهدافه الحقيقية هي استمرارية النضال من أجل النضال لا من اجل الخلود .

هذا النوع الثالث من القادة السياسيين ، يجعل مهمة تسجيل حياته وافكاره امام الباحث أو المؤرخ مهمة شاقة الى ابعد الحدود . والصعوبة والخوف في الا يكون هناك في ارثه المحدود ، والمبعثر هنا وهناك ، ما يكفي ضمانة للحفاظ على فكره السياسي ، وعلى جوهر معتقداته ، وعلى معدن شخصيته .